جـامـعـة بـغـداد

كـلـيــة الـتـربـيــة لـلـبـنــات

قـسـم الـلـغـة الـعـربـيــة

الشبيه المغاير

لــقـصــة آدم فـي الـقـرآن الـكـريــم

آدم ، التكرار ، تحول البنى التركيبية

أ.م.د فرح غانم صالح

٢٠١٥

University of Baghdad
College of Education for Woman
Arabic Language Department

The heterogeneous Like in Adam's Story in Holy Quran

Adam , Repetition , Compositional Structure Transformation

Assist Prof.
Dr. Farah Ghanim Salih

2015

بسم الله الرحمن الرحيم

((اللهُ نَزَّلَ أحْسَنَ اُلْحَدِيثِ كِتَاباً متُشَابِهاً مــثانــي))

صدق الله العظيم

الزمر (١٣)

ملخص البحث باللغة العربية

قدم الخطاب القرآني وحدة لغوية ذهنية، إذ جمع مقوماتهم اللسانية والبيئية، ووحدها الى أسلوب خاص به، ولغته حية متجددة تصلح لكل زمان ومكان وذات معان نفسية، فالقرآن يبدأ بالنفس وينتهي بالعقل، والقرآن الكريم متشابه في صحة معانيه وأحكامه وتناسق الفاظه، واساليبه، وتكرار قصصه وأوامره ونواهيه ووعده، ومما لاشك فيه بأن الادوات التصويرية التي يوظفها القرآن في تبليغ معانيه لا تخلو جميعاً من دلالة نفسية تعمل عملها في الكيان الانساني وتهزه من الاعماق وتؤثر في سلوكه، وفي تشابهه. وتنوع الأسلوب القرآني نمطاً مميزاً لا يشبه كلام البشر، ليس فيه تشابه كامل بل هو أقرب الى التنوع منه والتشابه.

Like heterosexual to the story of Adm in Quran Kareem

Abstract

The Quran speech introduced linguistic mentality unite، it collected the linguistic and environmental basics، and make to its own style، and its language is alive and renewable that used in any time or place that has psychological meaning، Quran starts in soul and end in mind، Quran Kareem is similar with its meaning، rules، methods، promises، orders، forbidden and the repetition of stories، Quran makes the graphic tools show the meaning with psychological indication that work in humanist entity and affect in his behavior and similar. The variety methods of Quran is very special not as the speech of human، it is near to the variety.

A.M.D. Farah Ghanim

للصورة القرآنية أثرها النفسي البارز، لأنها صيغت لتخاطب النفس، وتوجهها الى الأهداف التربوية والعمرانية التي ند بها الى القيام بها في مرحلتها الأرضية المحدودة، مرحلة الاستخلاف التي شرف بها الله هذا الكائن الكريم، الانسان.

فنحن نهتز للتعبير القرآني وننفعل به، ونستجيب له، لأن فيه هدياً، ولأن فيه موعظة، ولأن فيه خطاباً موجهاً لنفوسنا بطريقته الخاصة التي لا تشبه اساليب البشر من وجوهها كافة، ولعل أبرز سمات هذه الطريقة هي طريقة التصوير وصلتها بالنفس البشرية معرفة وتوجيها وإثارة. (١)

فالتصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يُعبر بالصورة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الانساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، وحتى ندرك آفاق التصوير الفني في القرآن، فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالأيقاع، وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات وموسيقى السياق، في إبراز صورة تتملاها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان... وفي القرآن ايقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع، يتناسق مع الجو ويؤدي وظيفة اساسية في البيان(٢). إذ يظهر تفوق التصوير القرآني في مضمار وظيفة التأثير في نفس المتلقي، واثارة الأنفعال في سياقه المناسب، لأن القرآن قد صّرح في مخاطبته للوجدان(٣). والطابع العام للاسلوب القرأني هو التنوع والتلوين وليس التكرار، و إذا ما وجد التكرار في مواضع فالأهداف أسلوبية خاضعة للدلالة والمغزى التشريعي او التربوي او النفسي، واذا ما وجد التشابه وهو كثير فهو ايضاً لتحقيق أهداف القرآن ومقاصده في بناء الإنسان وأخضاعه لمواطن الأستجابة والتأثير(٤). وقبل الحديث عن قصة "آدم" التي وردت ذكرها في اكثر من سورة في القران الكريم، والحديث عن فائدة التكرار في كل موضع وردت فيه القصة، لابد لنا من الحديث عن الأسلوب والإسلوبية لنرصد علاقات التكرار والحذف والإضافة والإستبدال اي التحري الإسلوبي في بنى الخطاب القرآني وخصوصاً فيما يتعلق بقصص الأنبياء، فالسمة المميزة للدراسة الإسلوبية تبدا من العمل الأدبي نفسه ومن الكلمات والطريقة التي ترتبط بالنص، وأنّ دراسة الاسلوب تبدأ بالمظاهر اللفظية

الدقيقة حيث يعكس بلوغ الكيان الصادق للنص[٥]. فالوقائع الأسلوبية لا يمكن ضبطها إلا داخل اللغة ما دامت هي حامَلِتُها[٦]. ولهذا شغلت الظاهرة اللغوية العرب منذ القرون الأولى للإسلام، فصّنفت فيها المؤلفات العديدة الى حد ظهور مدارس لغوية مختلفة[٧]. ويشير العالم الالماني ليوسبتزر إلى إحدى الصعوبات الأساسية في الأسلوبية، فالأسلوبية تدعي، ولابد لها إن تدعّي، فهم عمل فني أدبي يتواصل بفهم لغته، وليس من الضروري ان تكون البداية ملاحظة لغوية، يمكن ان تكون ملاحظة عن الحبكة أو مسألة مجازية[٨]. ومن هذا المنظور يصبح الأسلوب نظاماً ثانيا داخل نظام اللغة، فالتحليل التركيبي هو تفجير لهياكل اللغة مع إبراز كيفية الإنتقال من الدال الى الدلالة[٩]. ثم ينضاف الى مِقَياس تحديد الاسلوب بكونه قوّةً ضاغطة متسلطة على حسّاسية القارئ وقابليتّه المُدْرِكة معيارُ سَبْر مردودها اعتماداً على ما تحقَّقه بضغطِها وتسّلطها من "فاعليَّةٍ"، ويلح كثيرٌ من الاسلوبيين على مبدأ طاقة الشَّحْنِ في الخطاب ونجاحها في إصَابةِ مكامن الحساسَّية المتأثرة لدى القارئ المتقبّل، فالأسلوب بهذا التقدير تَوَتّرٌ ذبذبّيٌ بين لذّةِ التَّقَبّل وخَيْبَةِ الانتظار لدى القارئ[١٠].

أما داماسو الونسو، فيعطينا طريقة في الاستقصاء أو التحري الأسلوبية، فيقول "نبدأ الاستقصاء بالشكل الخارجي – أي الدال – لأن ذلك هو الحقيقة الواقعة المقدمة إلى ادراكنا الحسي، ثم ندرس الشكل الخارجي – أي المدلول – كمركب من عناصر متعلقة بالمفاهيم، ومؤثرة وتركيبية ومنتجة للصور، ويؤكد على هدف الأسلوبية في إرساء صلة قوية ملموسة بين الدال والمدلول"[١١].

إذن الأسلوبية تُعيننا على فهم القدر الممكن من أسرار الجمال في النص القرآني، أما فيما يتعلق ببحثنا سيكون في تحليل العناصر التركيبة المتحولة من نمطٍ الى آخر التي وردت في قصة آدم في القرآن الكريم، إذ تكررت هذه القصة في أكثر من سورة، وتكرار القصة أكثر من مرة له فائدة معينة، وفي هذا الأمر يقول ابن الأثير "أعلم أن في القرآن مكرراً لا فائدة في تكريره، فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظاهر. فأنعم نظرك فيه فأنظر على سوابقه ولواحقه لتتكشف لك الفائدة منه"[١٢].

ونلحظ إن القصة في القرآن كأنها تتكرر في أكثر من موطن، والحقيقة انها لا تتكرر ولكن يُعرض في كل موطن جانب منها بحسب ما يقتضيه السياق، وبحسب ما يُراد من موطن العبرة والإستشهاد[١٣]. والحق أن التكرار بشكل عام يُؤتى به لتحقيق أهدافٍ نفسية في الأساس، علماً بأن القرآن لا يكرر الصورة بالألفاظ ذاتها، وإنما يجري عليها تحويرات من التقديم والتأخير والحذف والإضافة، ويضعها في كل مرة في سياق مغاير للسياق الآخر، وليس هناك تكرار تام في القرآن إلا في حالات قليلة، وحتى هذه الحالة لا تُعد تكراراً لإختلاف المراد منها في كل مرة[١٤].

بينما يذكر علماء النص أن التكرار يهدف إلى تدعيم التماسك النصي وتحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص، حيث يُجمع بين القصص وحدة دلالية بل وحدة شكلية كما يظهر في تكرار الجمل[١٥].

ولابد من الحديث عن الغرض من قصة آدم، وكان من أغراضها تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى، وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجس في النفس تدعو إلى الشر، وإسنادها إلى هذا العدو الذي لا يريد بالناس خيراً.

فقد تكررت قصة آدم، وفي مواضع شتى، وكان للقصة اغراض أخرى منها بيان قدرة الله على الخوارق: كقصة خلق آدم، وهي تعرض حلقة ميلاد بطلها، لأن مولده عظمة بارزة، فقصته مظهر لنعمة الله على آدم وبنيه، وفي حادثة إبليس معه، وإن كان من اغراض القصة في القرآن إثبات وحدة الاله، ووحدة الدين، ووحدة الرسل، ووحدة طرائق الدعوة، ووحدة المصير، الذي يلقاه المكذبون، وفي آخر حلقة تُعرض بحسب ترتيب السور – تتفق مع أظهر غرض ديني صيغت القصة من أجله، فقصة آدم تُختم في كل مرة بالهبوط، وإذا زادت فإنما تزيد استغفار آدم من ذنبه وقبوله عند ربه، ذلك أن الهدف الديني يتم بهبوط آدم من الجنة جزاء لإتباعه مشوره عدوه القديم، ونسيانه لأمر ربه الكريم، فشخصية آدم في قصص القرآن أنموذج "الإنسان" بكل مقوماته وخصائصه ومن أظهر تلك المقومات ذلك الضعف البشري الأكبر الذي يجمع كل نواحي الضعف الأخرى، الضعف أمام الرغبة في الخلود.

وقد لمس إبليس موضع الضعف هذا فأستجاب له آدم وأستجابت له حواء، فالإنسان الفاني حريص على الخلود ابداً، فلما لم ينله كما مناه الشيطان، ظل وسيظل يحاوله بمختلف الطرق بالنسل وبالذكر وبالخيال. فإن لم ينفعه هذا انفعه الدين الذي يضمن له البعث مرة أخرى، ويضمن له نوعا من الخلود أيضاً!. أما شخصية إبليس فهي شخصية الشيطان(١٦). والقرآن ينص على ذكر الغرض من القصة في مقدمات بعض القصص أو في أعقابها، وجاء في سورة "ص" قبل عرض قصة آدم في قوله تعالى "**قُل هو نَبَأٌ عَظِيمٌ أنتم عَنهُ معُرضُونَ ما كانَ لي من علم بالمَلَإِ الأَعلى إذ يختصمون إن يُوحى إليّ إلا أنّما أنا نذُيُر مبُينٌ إذ قال رَبُّكَ للملائكة إني خالق بشراً مِن طينٍ**"(١٧).

وعلى صعيد قصة آدم، تتنوع بنى العناصر التركيبية بحسب متطلبات السياق تكراراً مغايراً ومبنياً على الأقتصاد الأسلوبي، ولرصد المتغيرات التي تطرأ على بناها المتشابهة من أول سورة نزلت قدمت لنا جدلية استخلاف الإنسان في الأرض والأختلاف، إلى آخر سورة، حيث استمرمُعاودة الحدث لسبع مرات.

وردت قصة آدم حسب ترتيبها في (سورة ص "٧٤" والأعراف "١١" وطه "١١٦" والإسراء "٦١" والحجر "٣٠-٣١" والكهف "٥٠" والبقرة "٣٤".

"**فَسَجَدَ الملائكَةُ كُلُّهُم أجْمعَوُنَ إلا إبْليسَ استَكْبَرَ وكان مِنَ الكافرين**".(١٨)

هنا أول إشارة ترد من الله تُشير الى خلق آدم عليه السلام، إذ نشعر بقوة الحدث بفعل السجود الجمعي للملائكة، حيث استجابوا امتثالاً لأمر الله من غير جدال وحوار بعد صدور أمر رباني لهم بالسجود، لنصل إلى أداة الإستثناء القاطعة الحاسمة في الفصلى { إلا } لنعرف من اعترض على حكم الله ليُجادله فكان { ابليس الذي أصابه الغرور } وإبليس على وزن فعيل وبلس من "الإبْلاس الحزْنُ المُعترضُ منْ شدة البأس. ومنه اشْتُقَّ إبليسُ فيما قِيَل قال عز وجَلّ: "**وَيَوْمَ تقوُمُ الساعةُ يَبْلِسُ المُجْرمُونَ**" وأعْظمُ التَكبَرُّ والاستكبار التَكبُّرُ على اللهِ بالامتناع مِنْ قَبُولِ الحَقَّ وَ الإذعْان له بالعبادة"(١٩).

وعند التركيز في قراءة اداة الاستثناء سنعرف إنه قبل خلق آدم لم يكن ابليس يُعارض الله في شيء لحين خلق آدم، فبدأت الجدلية والمفاضلة بين آدم سفير النوايا

الطيبة قطب الخير والحق والنور والقبول والايمان وقطب الشر { إبليس } قطب الشر والباطل والظلام والرفض والكفر، ويُحدد إبليس عدم سجوده بحجة ضعيفة " **أنا خيرُ منْهُ خلقتني من نارٍ وخلقته من طينٍ** "[٢٠] وقد خاطب الله الملائكة بصيغة الجمع، وتأكيد السجود، أما الفعل " أستكبر " حمل دلالة في تأكيد الحدث، وفي إثبات صفة إبليس وفعله الحقيقي وتحول حاله منذ لحظة السجود لآدم، جاءت " الكافرين " تُوحي بدلالة موافقة للسياق انسجاماً مع الزمن الحقيقي لبدء خلق آدم، وصيغة الجمع ملازمة للسياق (الكافرين: اسم فاعل) أي إبليس صار من الكافرين حين استكبر على امر الله وحاول المفاضلة بينه وبين ما استخلف الله على الارض، ويبقى صفير صوت السين بين همس ورخاوة وانفتاح وإصمات اذ تكرر داخل سياق الاية لأحداث التأثير في نفس المتلقي. وترد قصة آدم في الموضع الثاني في سورة الأعراف (١١) قال تعالى...

" **ولَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صورناكُمْ ثم قُلْنا للمِلائكةِ اسْجُدُوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لمْ يَكُنْ مِنْ السَاجْدِيْن**"[٢١]

وفي هذه السورة حدث تحول عن سورة (ص٧٤) بزيادة عناصر جديدة واستبدال وتكرار حسب ما تطلبه سياق الأية لتأكيد الحدث، إذ اتجه الخطاب (خطاب الله) الى البشر ليؤكد الله قدرته في خلق الناس ثم أتى بحرف العطف (ثم) ليثير الدهشة والتعجب في تحول الخطاب الى الملائكة وتكرار الحدث المهيْمن على السورة في { سجود الملائكة لكن تم إضافة عنصر جديد اي تم التحديد والتخصيص لمن السجود }.

(آدم) فجاء حرف العطف (ثم) تتابعي دون جدال أو حوار، وقد تكررت مشتقات السجود ثلاث مرات في هذه السورة، لنصل الى اداة الاستثناء (إلا) المكررة القاطعة تستثني (إبليس) يتكرر في كل سياق يرد ولا يُستعاض عنه بأي ضمير لتأكيد فعله، وكرر ابليس رفضه للسجود بحجة واهية "خلقتني مَنْ نارٍ وخلقته مِنْ طينٍ"[٢٢]، وتكرر الخطاب بصيغة الجمع دلالة لعدم سجود ابليس لآدم فجمع المذكر يُعطي دلالة على القيام بالحدث، وتم استبدال "الكافرين" في سورة ص (٧٤) بـ

"الساجدين" في الاعراف (١١) وما ورد في صيغة الجمع يأتي ملائم للسياق لإداء المعنى المحقق فهمه وتأثيره للمتلقي في كل زمان ومكان.

وترد إشارة دالة في هذه السورة تجسد الصراع الكامن في طبيعة البشر (جحود البشر – الخير – الشر) بقوله تعالى...

"**لَقَدْ مكناكُمْ في الأرضِ وجَعَلْنَا لكُمْ فيها معايش قليلاً ما تشكرون**"[٢٣]

إذن رصد العناصر وتحولها من نمط إلى آخر بين السورتين (ص٧٤ و الأعراف ١١) تم بين زيادة جملة توكيدية "لقد خلقناكم ثم صورناكم" الاعراف

زيادة حرف عطف تتابعي لخطاب الملائكة الاعراف + ص "ثم قلنا للملائكة" وحرف العطف الفاء في ص "فسجد الملائكة"

تكرار السجود للملائكة في السورتين الاعراف + ص

تكرار اداة الإستثناء في السورتين الاعراف + ص

تحديد السجود اي اضافة عنصر في سورة الاعراف (آدم)

تكرار اسم الشيطان في السورتين الاعراف + ص

تكرار الخطاب بصيغة الجمع في السورتين الاعراف + ص

استبدال عنصر بعنصر آخر (الكافرين) في (الساجدين) في الاعراف

"**وَ إذْ قلنا للْمَلائكَةِ إسْجُدُوا لأدم فسَجَدُوا إلا إبليس أبَىَ...**" [٢٤] طه١١٦

وهنا مركز الخلاف (إبليس) مع الاستخلاف (آدم) وتجسد في الفعل (أبَىَ) والإباءُ: شِدَّةُ الأمِتنِاع، فَكُلُّ إباءٍ امْتِناعٌ وليس كلُّ امتِناعٍ إباءً".[٢٥]

حدث تكرار في فعل السجود وفي حوار الله للملائكة وبقاء الصيغة الأمرية في (إسجدوا) وتم استبدال حرف العطف (ثم) في الاعراف بـ (وإذ) لتوجيه الخطاب المستمر وتحقيق فعل السجود وتحديده بتكرار اسم (آدم) ثم تكرر حرف العطف (الفاء) التتابعي في الطاعة والإمتثال لأمر الله وهذه البنية فيها مشابهة وتكرار في بنية سورة الاعراف لنصل الى اداة الاستثناء القاطعة (إلا) والمكررة في كل سياق وكأنما توضح الفصل الحقيقي بين {الحق والباطل – الأبيض والأسود – الجنة والنار – القبول والرفض}

وتكرر ذكر ابليس ولنصل الى وقع الفعل أبَىَ ودلالته، حيث توضح سلوك إبليس وتحدد فتم اضافة عنصر جديد في السياق للتوضيح، وقد جاء الفعل (أبى) موافق لسياق الأية وفيه دلالة الإيحاء بالتعالي فقوة الحدث توضحت أكثر من (امتنع) لأنّه فعل يدل على الحدوث والتجدد ويحمل دلالة أشمل من دلالة الفعل (امتنع) وينصرف الفعل (أبى) إلى أزمنة مختلفة يحددها السياق وتكون موافقة للغرض الذي ترد فيه، ويبقى صفير صوت السين بين همس ورخاوة وإستفالة وإنفتاح وإصمات فيما تكرر هذا الصوت داخل سياق الآية، لشدة الوقع وإحداث التأثير، إذن الفعل ابى حمل من الصفات الشاملة لكل مظاهر الإمتناع من رفض وتعالي وعدم رجوع وعدم خضوع ومعصية لا عدول عنها ولا موافقة بعدها.

التكرار في سجود الملائكة واداة الإستثناء وذكر إبليس والإستبدال حدث بشكل مغاير عما ورد في سورة ص والاعراف بعد اداة الإستثناء حيث اسُتبدلت الجملة في سورة ص (استكبر وكان من الكافرين) وفي سورة الاعراف (لم يكن من الساجدين) بتحديد فعله بالإباء والرفض القاطع في سورة طه (إلا إبليس أبى).

"**وإذْ قُلنْا للمْلائكَة اسْجُدُوا لآدم فَسَجَدوا إلا إبليس قالَ أأسْجَدَ لِمَنْ خَلقت طِيناً**"[٢٦] الإسراء ٦١.

هذه السورة جسدت تعنت الشيطان واسلوبه الإستفهامي الاستنكاري في رفضه للسجود، وهذه البنية فيها مشابهة ومعاودة واسترجاع وتكرار عما ورد في سورة طه (١١٦)، ويبقى فعل السجود الجمعي للملائكة وتكرار حرف العطف (الفاء) التتابعي في تحقيق الأمر وتكرار اداة الاستثناء في كل سياق حيث يتم استثناء إبليس ثم تتم الإضافة والزيادة في قول إبليس بصيغة الإستهزاء حيث تكررت الهمزة لتوضيح الحدث وتفسيره (أأسجد لمن خلقت طيناً) وكانت حجة غير عقلانية، وبقي مركز الخلاف إبليس قطب النار والكفر والشر ومركز الاستخلاف قطب الجنة والخير والايمان { آدم }.

إذن التكرار للعناصر الرئيسة في (السجود + إداة الاستثناء + لكن) تم استبدال الفعل أبى الذي ورد في سورة طه ١١٦ بإضافة بنى جديدة توضيحية،

ويبقى الخطاب في السورة بصيغة الجمع، وإبليس ينفي السجود عن ذاته، ويستمر صفير صوت السين لشدة وقعه في تأكيد الحدث.

"**فَسَجَد الملائِكَةُ كُلّهمْ أجْمَعُونَ إلا أبليس أبى أنْ يكُونَ مَعَ السَّاجدِينَ**"[٢٧] الحجر ٣١

بقى التكرار والمشابهة والمعاودة للعناصر التركيبية المتحولة قائماً حيث جاءت هذه البنية مكررة لما ورد في سورة ص٧٤ (فسجدوا كلهم اجمعون) ويبقى الخطاب بصيغة الجمع وبشكل توكيدي أما اداة الاستثناء فهي لازمة قاطعة فاصلة في كل خطاب للنص القرآني ويتكرر إبليس ولا يحذف إسمه ويرد تكرار للفعل أبى الذي ورد ذكره في سورة طه (١١٦) (إلا إبليس أبى) ليمتنع إن يكون مع من يسجد وينفذ أمر الله، لنقابل بين سجود الملائكة وإمتناع إبليس، قطب الإمتثال وقطب الإختلاف، ولم يرد ذكر آدم في سياق هذه الآية، فهذه البنية تؤكد ثنائية الخير والشر، ووضع الانسان موضع الأختبار، وتكرر مجيء الفعل (أبى) لأثبات قطعي بأنه لم يكن من الساجدين، فتم إستبدال الإستفهام الإستنكاري الذي ورد في سورة الاسراء (٦١)

{ أأسجد لمنْ خلقت طيناً } بعد اداة الاستثناء الحارة الصارمة ليرفض ابليس **{ أبى أنْ يكُونَ مع الساجدين }** الحجر (٣١) وتكرر الخطاب بصيغة الجمع (جمع المذكر السالم) لإداة المعنى المطلوب الدال على القيام بالحدث، فالفعل أبى حمل دلالة الرفض، وقد عزز إبليس رفضه للسجود بحجة واهية في قوله **{ لَمْ أكن لأسجد لبَشَرٍ خلقته من صلصالٍ من حمأ مسنون }**[٢٨] الحجر (٣٣)

إذن التكرار في مشتقات السجود وحرف العطف واداة الإستثناء وصيغة الجمع وتكرار صوت السين في سياق الآية.

"**وإذ قُلنْا للمْلائَكِة اسْجُدُوا لآدم فسَجَدْوا إلا إبليس كانَ مِنْ الجَنِ ففسَقَ عَنْ أمر ربهِ**"[٢٩] الكهف (٥٠)

هذه السورة جاءت على شكل تمثلات، إختزلت قصة آدم في إرتكازها على أمر السجود والذي تحقق بتكرار حرف العطف الذي يرد في كل سياق لتحقق الفعل وإستجابة الملائكة، لنصل الى اداة الاستثناء الحاسمة والفاصلة والحادة والقاطعة

لتستثني (إبليس) وتبدأ الزيادة والاضافة والاستبدال لتخرج دلالة السياق الى جحود الشيطان ورفض السجود قطعياً وعصيانه للأمر الإلهي جعل منه ذاتاً جاحدة فاسقة، يستحق عذاب الله، فأستعرض السياق تحول ذات إبليس، وإصراره الفاسق، **{ كان من الجن ففسق عن أمر ربه }**، حيث تبرز الوظيفة التفسيرية، ويتواصل صفير صوت السين لجذب إنتباه المتلقي.

التكرار في العناصر الرئيسة للبنية التي وردت في سورة ص ٧٤ والاعراف ١١ وطه ١١٦ والإسراء ٦١ والحجر ٣٠ – ٣١.

تكرار سجود الملائكة + تكرار حرف العطف (الفاء) + تكرار أداة الإستثناء وإبليس + الزيادة إستبدال ما ورد في سورة الحجر بعد الفعل (أبى) لتوضيح صفة إبليس **{ كان من الجَنِ ففَسَق عَنْ أمر ربهِ }**

" **وَإذْ قُلنْا للِملائكَةِ أسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجُدوا إلا إبليس أبى وَ أستكبَرَ وَكَانَ مِنَ الكافِرينَ**"[٣٠] البقرة ٣٤

وهذه السور مثلت واختزلت كل ما ورد عن قصة آدم من سورة ص ٧٤، الاعراف ١١، طه ١١٦، الإسراء ٦١، الحجر ٣٠-٣١.

بقي التكرار في خطاب وحوار الله مع الملائكة، وتم تحديد السجود لمن (لآدم) وايضا تكرار، أي بقيت العناصر الرئيسة (سجود الملائكة) ذكر (آدم) لنصل إلى حرف العطف التتابعي والمحقق للصيغة الأمرية في سجود الملائكة واطاعة الله تعالى فيما حاورهم فيه وتكررت اداة الاستثناء في هذا السياق (إلا) القاطعة، الحادة، الحارة، العازلة، الصارمة، لنعرف من قام بمخالفة أمر الله تعالى كان قطب (الشر + الكفر + المعصية + الرفض + الظلام) وفي كل سياق يرد يتم ذكر إبليس لبيان تلك الجدلية والمفاضلة بين ما إستخلف الله (آدم) وبين من خالف (آدم).

أما وظيفة الفعل (أَبَىَ) الذي اعطى وجوده في السياق سعة في الرفض والإمتناع، لأن دلالته شاملة لكل معايير الرفض أي إثبات قطعي بعدم رجوعه عن هذا الأمر، وكانت هناك قرائن لغوية جعلت هذا العنصر يعمل ليؤكد حقيقة واحدة، (الإمتناع من غير عدول) [٣١] وعصيان إبليس الأبدي في شره وحقده وكفره وسواده وظلمه وتمرده وغروره.

أما حرف العطف (و) فهي الأداة التي تُخفى الحاجة إليها، ويتطلبْ فهم العطف بها دقة الإدراك، وذلك لأنها لا تدل إلا على مطلق الجمع والاشتراك[٣٢]. أما العنصر الذي أُضيف بعد حرف العطف فهو (أسَتَكْبَر)، إذ توضح استكبار إبليس من خلال دلالة الفعل (أبى)، لأن "أعظَمُ التَّكَبِرُّ – التَّكَبُّرُ على الله بالامْتِناعِ مِنْ قَبُولِ الحقَّ وَ الإذْعانِ له بالعبادَة"[٣٣]. وهذا الاسْتِكْبارُ أكتسب خصوصية (بالذْم) والعصيان والكره والإساءة – بعد – مجيئه وعطفه على الفعل (أبى) أي توضح معناه أكثر من خلال موضعه في السياق الذي ورد فيه (أبَىَ وَ أستكْبَرَ)، وهناك حرف العطف الذي جمع بين الإمتناع والذم، والاسْتكِبْارُ "يقالُ على وَجْهَيْنِ، أحَدُهُما: أنْ يتحَرى الإنسانُ ويطلبُ أنْ يَصيرَ كبيراً وذلك متى كان على ما يَجبُ وفي المكان الذي يَجبُ وفي الوقت الذي يَجبُ فمْحُمودٌ، والثاني أنْ يتَشَبَّعَ فيُصْهرَ مِنْ نفْسِهِ ما ليسَ له وهذا هو المذموم"[٣٤].

إذن حمل الفعل (أستكبر) دلالة الذم وقد توضحت حقيقة هذا الفعل بعد عطفه. ولقد تكررت صيغة الخطاب والحوار مع الملائكة، بصيغة الجمع "**وكان من الكافرين**" [٣٥]. إنسجاماً مع الزمن الحقيقي للحدث حينما بدأ الله خلق آدم، وتحول حال إبليس ودخوله دائرة الكفر والتعنت والمجادلة ورفض الخضوع والتعالي والغرور، ومن هنا تبقى تلك الجدلية والصراع بين الجنة والنار، المؤمن والكافر، الطاعة والرفض، والنور والظلام.

إبـــليس	**أَبَـــى**	**أستَكَبَر**
الشيطان	إمتناع	غـرور
الكفـر	رفـض	تـعـالي
الظـلام	قـطـع	إستعلاء
الأسود	حـسم	إســاءة
الظـلـم	تـعنت	جــدال
العصيان	لارجوع (لاعدول)	لاخضوع (لاخشوع)

(دليل قطعي برفض سجود إبليس)

الحجر (٣٠ –٣١)

فسَجَدَ الملائكَةُ كُلُّهمْ أجمعون إلا إبليس أبى أنْ يكُونَ مَع السَّاجِدينَ

- فسَجَدَ الملائكَةُ كُلُّهمْ أجمعون → طاعة الملائكة
- فسَجَدَ الملائكَةُ كُلُّهمْ أجمعون → تأكيد طاعة الملائكة بالسجود
- إلا إبليس أبى → الشيطان العاصي المتمرد المغرور
- أنْ يكُونَ مَع السَّاجِدينَ → عدم السجود (إبليس)
- إلا إبليس أبى → أداة قطع حصر أصرار حسم

البقرة (٣٤)

قُلنْا للمِلاْئكَةِ أسْجُدُوا لآدم فَسَجَدُوا إلا إبليس أبى وأستَكبر وكان من الكافرين

- قُلنْا للمِلاْئكَةِ أسْجُدُوا → خطاب الملائكة للسجود
- فَسَجَدُوا → إستجابة الملائكة لفعل السجود
- إلا إبليس أبى → اداة قطع حارة صارمة
- أبى وأستَكبر → محور الرفض والإمتناع والأستعلاء
- وكان من الكافرين → تحول حاله إبليس ودخوله دائرة الكفر المتعنت العاصي (الشيطان) والعصيان

سورة ص (٧٤)	سورة الاعراف (١١)	سورة طه (١١٦)	سورة الإسراء (٦١)	سورة الحجر (٣٠-٣١)	سورة الكهف (٥٠)	سورة البقرة (٣٤)
فسجدوا الملائكة كلهم أجمعون ..... إلا استكبر كان من الكافرين	ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا لم يكن من الساجدين	..... وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا أبى	..... وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ..... أأسجد لمن خلقت طيناً	فسجد الملائكة كلهم أجمعون ..... إلا أبى	..... واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ..... كان من الجن ففسق عن أمر ربه	..... واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا ..... إلا أبى واستكبر وكان من الكافرين
سجود ملائكة تأكيد السجود اداة استثناء استعلاء قبيح أمتناع استكبر تحول حاله ودخوله دائرة الكفر	زيادة (خلقناكم) تكرار (ص) تكرار (ص) ..... استبدال الكافرين بـ (الساجدين)	..... تكرار (الأعراف) تكرار = امتناع (أضافة أبى)	تكرار (طه) تكرار = ... اضافة بنى جديدة تفسير استفهام استنكاري	تكرار (ص) تكرار تكرار أبى (طه)	تكرار (طه) (الإسراء) تكرار = ... اضافة بنى جديدة تفسير عصيان إبليس لأمر الله	تكرار(طه – الإسراء – الكهف) تكرار=الجمع بين الرفض والأستعلاء اضافة بنى (ص–طه الحجر)(أبى واستكبر)محور الرفض والغرور

الـخـاتـمـة

الشبيه المغاير رصد التحول في عناصر البنى المختلفة والتي تجسدت في قصة آدم التي تكررت في أكثر من سورة في القرآن الكريم، بشكل مغاير عن كل مرة، والكشف عما ينتج من هذا التحول من متغيرات في مستوى التركيب والدلالة والوظيفة، وتكرار الألفاظ له أهمية في سياق التحول القائم على تحولات اللفظ والتركيب، وكان للصورة القرآنية حضور دلالي في تحقيق التأثير المطلوب، وإنَّ القرآن في مثل قريب، أشبه بالبحر المحيط، يروع الناظر إليه في مظهره، ويبهر مخبره، فكلما نظر اليه وتأمل وغاص فيه وتعمق، عرف أكثر وأروع.

الهوامش

١. يُنظر أسْرَار التَّشَابُه السلوبي في القران الكريم، د. شلتاغ عبود.
٢. يُنظر التصوير الفي في القرآن، سيد قطب، ص٧٩.
٣. يُنظر التصوير المجازي في مشاهد القيامة في القرآن، د. إياد عبد الحمداني، ص١٤٤.
٤. يُنظر أسرار التشابه الاسلوبي في القرآن الكريم، د.شلتاغ عبود ص١٧٤.
٥. يُنظر الأسلوب والأسلوبية، غراهام هوف، ص٤٩.
٦. يُنظر معايير تحليل الأسلوب، د. حميد الحمداني، ص١٧.
٧. يُنظر أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، توفيق الزيدي، ص١٦.
٨. يُنظر الاسلوب والاسلوبية، غراهام هوف، ص٧١.
٩. يُنظر اثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، توفيق الزيدي، ص٢٥.
١٠. يُنظر الاسلوبية والاسلوب نحو تبديلٍ ألسني في نقد الأدب، عبد السلام المسري، ص٨٠.
١١. يُنظر الأسلوب والأسلوبية، غراهام هوف، ص٨٤.
١٢. يُنظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبن الأثير، ج٣، ص٢٧.
١٣. يُنظر التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، ص٢٥١.
١٤. يُنظر أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، د. شلتاغ عبود، ص٨٦.
١٥. يُنظر علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي إبراهيم الفقي، ج٢، ص٢١، ص١٧٨.
١٦. يُنظر التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص١١٨، ص١٣٢، ص١٣٥، ص١٦٠، ص١٦١.
١٧. القرآن الكريم، سورة (ص) ٧١، وينظر التصوير الفني، سيد قطب، ص١١٣.
١٨. القرآن الكريم، ص٧٤.
١٩. يُنظر المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٦٠، ص٤٢١.
٢٠. القرآن الكريم ص٧٦.
٢١. القرآن الكريم، الاعراف (١١).
٢٢. القرآن الكريم، الأعراف (١٢).
٢٣. القرآن الكريم، الاعراف (١٠).
٢٤. القرآن الكريم، طه ١١٦.
٢٥. المفردات في غريب القرآن، ص٧.
٢٦. القران الكريم، الاسراء (٦١)
٢٧. القرآن الكريم، الحجر (٣٠ – ٣١).
٢٨. القرآن الكريم، الحجر (٣٣). (الحَمَأ) طِينٌ أسْوَدُ مُنْتنٌ ينظر المفردات في غريب القرآن، ص١٣٢.
٢٩. القرآن الكريم، الكهف (٥٠).
٣٠. القرآن الكريم، البقرة ٣٤ (الإباءُ: شدَّةُ الإمتِناع).
٣١. ينظر المفردات في غريب القرآن، ص٧. فكُلُّ إباءٍ امتناع وليس كل امتناعٍ إباءٍ.
٣٢. يُنظر أسْرَار التَّشابُه الأسلوبي في القرآن الكريم، د. شلتاغ عبود، ص١٢٧.
٣٣. المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ص٤٢١.
٣٤. المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ص٤٢١.
٣٥. القرآن الكريم، البقرة ٣٤.

قـــائـــمـــة المـصـــادر

١. القرآن الكريم.
٢. أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، د. شلتاغ عبود، دار المحجة البيضاء، دار الرسول الأكرم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى – ٢٠٠٣م.
٣. الأسلوب والأسلوبية، غراهام هوف، ترجمة كاظم سعد الدين، دار آفاق عربية، رقم الأيداع ١٨٨، في المكتبة الوطنية، بغداد – ١٩٨٥م.
٤. الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب، عبد السلام المسدي، ليبيا – تونس، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.
٥. أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، توفيق الزيدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ١٩٨١م.
٦. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الحادية عشر، ١٩٨٩م.
٧. التصوير المجازي (انماطه ودلالته في مشاهد القيامة في القرآن)، د. إياد عبد الودود، الطبعة الأولى – بغداد، دار الشوؤن الثقافية العامة، ٢٠٠٤م، (سلسلة رسائل جامعية).
٨. التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، بيت الحكمة، تسلسل التنضيد (١٥) للسنة الدراسية، ١٩٨٦ – ١٩٨٧م.
٩. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، د. صبحي إبراهيم الفقي، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ – ٢٠٠٠م، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة) كلية الآداب – جامعة طنطا.
١٠. معايير تحليل الأسلوب، تقديم وتعليق د. حميد الحمداني، الدار البيضاء – دار النجاح الجديدة – ١٩٩٣.
١١. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بأبن الأثير ت٦٣٧هـ، تحقيق د. أحمد الحوفي – د. بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م.
١٢. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، مطبعة مصر، ١٣٨١هـ – ١٩٦١م.